التفسير الفقهي عند المدرسة الإباضية

الإمام كعباش أنموذجا.

الباحثة: نصيرة سلسبيل.

الايمل:salsabil9715@gmail.com

رقم الهاتف:0696912702

ملخص:

تزخر المكتبة الجزائرية بتنوع المؤلفات في شتى المجالات الدينية والدنيوية، ومن بين ما أُهتم به بعد الفتوحات الإسلامية هو تفسير القرآن الكريم. وبتعاقب الدول الإسلامية على أرض الجزائر على اختلاف عقائدهم مذاهبهم تباينت طرق التفسير تبعا لذلك، فظهرت عدة مدارس من أشهرها المدرسة الإباضية، التي ساهمت بتفاسير عديدة في اثراء الرصيد العلمي الجزائري، لذلك جاء هذا البحث لإلقاء الضوء على احد المفسرين المعاصرين وهو الإمام محمد كعباش، وتجلية معالم التفسير الفقهي عنده، وكان من بين ما توصل إليه البحث: لين المفسر مع الدليل فهو غير متعصب لفكر معين أو مذهب معين، واهتمامه بقضايا عصره، فهو لا يفوت فرصة لتنزيل الآيات، لا يذكر طريقة استنباطه للحكم بل يذكر مباشرة ما تدل عليه الآية، وأغلب الترجيحات تستند إلى أقوال اطفيش، فهو المصدر الأكثر تأثيرا في تفسير نفحات الرحمان.

الكلمات المفتاحية:

كعباش، الإباضية، الفقهي، التفسير، الاتجاه.

Abstract:

The Algerian library abounds with a variety of literature in various religious and worldly fields, and among what I cared about after the Islamic conquests was the interpretation of the Noble Qur’an. And with the succession of Islamic countries on the land of Algeria, despite their

different beliefs and sects, the methods of interpretation varied accordingly. Several schools emerged, the most famous of which is the Ibadi school, which contributed to many interpretations in enriching the Algerian scientific balance, so this research came to shed light on one of the contemporary interpreters, Imam Muhammad Kaabash, and to clarify the features of his jurisprudential interpretation. The evidence is that he is not fanatical to a particular thought or doctrine, and his interest in the issues of his time, so he does not miss an opportunity to download the verses, he does not mention the method of his elicitation of the ruling, but rather mentions directly what the verse indicates, and most of the weightings are based on the sayings of Tfayyesh, as he is the most influential source in the interpretation of the whiffs of the Rahman.

key words:

Kaabash, Ibadi, jurisprudence, interpretation, direction.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يظلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له – واشهد أن محمد عبده ورسوله .أما بعد:

القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه هدى وشفاء ورحمة وبيان ويعتبر علم التفسير من أجل العلوم وأقدسها لارتباطه بكتاب الله وهناك العديد من أنواع التفسير منها ما هو موضوعي، تحليلي ومنها ما هو مقارن؛ وانطلاقا من هذه الركائز الجوهرية، وخدمة لهذا الطريق فإنني أقدم هذه الدراسة وهي بعنوان: تفسير منهج ابن سلام وابن زمنين دراسة مقارنة.

حظي القرآن الكريم منذ بداية نزوله باهتمام فريد، حيث بذل العلماء جهودا وأموالا وأوقاتا في سبيل تفسير آيات وخوض غماض أسرار. وباعتبار التباين في الخلفيات التكوينية هؤلاء الأفذاذ فقد انطبع كل

تفسير بمنحى ولون مغاير عن غيره، فأنتج ذلك اتجاهات تفسيرية متمايزة، منها اللغوي البلاغي، العقدي، الإصلاحي، الفقهي. صب الاهتمام في هذا الأخير على شرح وبيان الأحكام والتفصيل المستفيض في توضيح الأحكام الشرعية الواردة في الآيات القرآنية، كل متأثر بمصادر فرقته المنتسب إليها فالاتجاه الفقهي في التفسير كان في مجموعه منقادا تحت ضوابط وأسس الاتجاه العقدي وما يمليه من ترتيب للمصادر وقبولها. ومن بين هذه الفرق الإباضية حيث تعد من أهم الاتجاهات العقدية التي كان له محالا في تاريخ الجزائر منذ القرن الأول للإسلام، حين ارسل أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي الداعية سلمة ابن سعد الحضرمي إلى شمال إفريقيا وذلك بين 95هـ و110هـ، ومنذ ذلك الحين إلى يومنا هذا لا تزال منطقة بني مزاب تحافظ على مذهبها العقدي الإباضي. كان للإباضيين إنتاجا علميا أثرى رفوف المكتبة الجزائرية، ونوع مشارب العلم بها ومن بين علماء الإباضية الدكتور كعباش الذي ألف تفسيره نفحات الرحمان، والموجه لأبناء منطقته وأهل فرقته ابتداء، لذلك سنحاول من خلال ورقتنا البحثية، الإجابة عن الإشكالية التالية:

ماهي معالم التفسير الفقهي عند الإمام كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمان؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1. التعرف على عالم جزائري مغمور.
2. إبراز منهج الإمام كعباش في التعامل مع آيات الأحكام.
3. معرفة مدى تعصبه لمذهبه الفقهي.
4. إبراز جهود الشيخ في خدمة القرآن وأحكامه.

خطة البحث:

مقدمة

المطلب الأول: ترجمة الإمام كعباش.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "نفحات الرحمان".

المطلب الثالث: التعريف بالتفسير الفقهي.

المطلب الرابع: منهجه في عرض الأحكام.

المطلب الخامس: مصادره الفقهية.

المطلب الأول: ترجمة الإمام "كعباش".

هو محمد بن ابراهيم سعيد المعروف بـ " كعباش"، من مواليد بلدية "العطف" ولاية "غرداية" بالجزائر . ولد سنة 1929م، اعتنت به أمه "بهون شيخة بنت الحاج محمد" بعد أن توفي والده" سعيد ابراهيم بن باحمد" ، وتركه يتيماً فقيراً وهو بعمر السنتين، فحرصت على تنشئته على حب الله ورسوله ــصلى الله عليه وسلمــ وعلى حفظ كتاب الله في سن مبكرة، وقد وهبه الله ذاكرة قوية وذكاء لامعا، فدفعته إلى كُتّاب القرية ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة وكان أبرز معلميه آنذاك شيخه المرحوم "الحاج ابراهيم محمد بن بهون"، والذي ترك في نفسه أثراً قوياً وحبا غامراً للعلم والمعرفة. ثم ارتحل إلى معهد "القرارة" للدراسة على يد الشيخ "بيوض" ومكث فيه خمس سنوات من عام 1945 إلى 1950م ، ثم إلى "تونس" حيث درس العلوم العربية والشرعية في "الجامع الزيتوني" ودرس العلوم التطبيقية في "المعهد الخلدوني" وذلك إلى غاية سنة 1954م، كما حصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي سنة 1972 من جامعة جزائرية. وقد استفاد من شيوخ كثر أثناء مسيرته العلمية منهم: في التفسير: ابراهيم بن عمر بيوض، محمد الطاهر بن عاشور، و محمد الزغواني .

وفي أحكام القرآن: البشير النيفر، وفي مقاصد الشريعة: اللقاني، وفي أصول الفقه: أحمد بن ميلاد . بدأ العمل في مجال التربية والتعليم حيث عمل أستاذا ومديرا في القطاع الديني الحر في فترة الاستعمار، ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني، إلى أن تقاعد عن العمل سنة 1990م .

كما اشتغل مرشدا وخطيبا للجمعة منذ سنة 1972م، وهو يواصل دروس الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم بالجامع العتيق لبلدة العطف، وكانت دروسه المسجدية تنقل عبر خيوط الهاتف لباقي مساجد البلدة فيستفيد منها الجميع، إضافة إلى ذلك شغل منصب عضو في إدارة جمعية "النهضة" التي يعود إليها فضل تحفيظ القرآن للناشئة وتعليم اللغة العربية منذ 1945م، وقد أسهم الشيخ بقسط وافر من التضحية والجهاد ، وهو من المجاهدين الأوائل بالبلدة، وممن حافظوا على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية من خلال عمله النضالي في المجلس البلدي السري للمنطقة الخامسة للولاية السادسة التاريخية، معتز بانتمائه إلى منظمة المجاهدين وإلى صفوف "جبهة التحرير الوطني" قبل وأثناء ثورة التحرير المجيدة، كما تقلد بعد الاستقلال مناصب إدارية محلية لمدة عشر سنوات، ويتشرف بعضوية منظمة المجاهدين دون من ولا غرور[1].

المطلب الثاني: التعريف بكتاب "نفحات الرحمان":

يعد كتاب "نفحات الرحمان في رياض القرآن"، من التفاسير الجزائرية الكاملة المعاصرة، وإضافة مميزة للمكتبة الإباضية الجزائرية، صدر هذا التفسير سنة 1426هـ الموافق لـ 2005م، عن جمعية النهضة بـ"غرداية"، في أربعة عشر مجلدا .

ومن أهم مميزات التفسير في عرض المادة العلمية[2] ما يلي:

1- يفتتح السور بعنوان "بين يدي السورة"، يتناول فيه افتتاحية واسم السورة، مكية ومدنية السورة موضوعها العام وموضوعاتها الفرعية.

2- يقسم آيات السورة إلى مقاطع حسب المواضيع ويعنون كل مقطع بعنوان مستقل.

---

[1] ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، جمعية النهضة، غرداية-الجزائر، د.ن، (14/574_575). رقية دريدي، القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، تحت إشراف:حدة سابق، رسالة دكتوراه،غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، 2020/2019م، (140)، https://www.chikhkaabache.net/، مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمان، سلسبيل نصيرة، مجلة المعيار، المجلد 26، العدد4(رت66)، سنة 2022، ص:30.

[2] ينظر: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمان، سلسبيل نصيرة، ص:31.

3- يذكر آيات المقطع المراد تفسيرها، تحت عنوان النص.

4- يليه عنوان "التحقيق اللغوي"؛ فيشرح غريب المفردات القرآنية الواردة في آيات المقطع.

5- يليه إن كانت الآيات الكريمة تحوي قراءات مختلفة فيفرد لها عنوانا مستقلا "أوجه القراءة"، فإن كانت القراءات تحتاج توجيها عنون قائلا" حول مبنى النص وأوجه القراءة".

6- إن ورد في الآية سبب نزول يفرد لها عنوان: "سبب النزول".

7- إذا أراد أن يستفيض في ذكر القصة بعيدا عما هو في الآيات عنون ذلك بـ :"بين يدي القصة"[3].

المطلب الثالث: التعريف بالتفسير الفقهي.

عرف التفسير الفقهي بأنه:"هو ما له صلة بالأحكام الشرعية العملية في القرآن الكريم وهو ما يسمى تارة آيات الأحكام وتارة فقه الكتاب"[4].

وعرفه نور الدين عتر: هو التفسير الذي يعنى فيه بدراسة آيات الاحكام وبيان كيفية استنباط الاحكام منه"[5].

وعرف في مفاتيح التفسير تحت اسم؛ تفسير الفقهاء: تفسير الفقهاء مبني على استنباط الاحكام من القرآن الكريم ومرد ذلك إلى علم الفقه الذي هو أحد العلوم التي ينبغي أن تتوافر فيمن يتصدى لتفسير كتاب الله تبارك وتعالى وقد مضى الحديث عن ذلك والكتب المؤلفة فيه[6].

و مما سبق يمكن تعريفه باختصار: بأنه عملية الكشف عن الأحكام الواردة في الآيات القرآنية سواء كانت صريحة[ظاهرة] أو غير صريحة [استنباط].

3ينظر: نفحات الرحمان، كعباش ،(11/ 451).

[4] التفسير الفقهي النشأة والخصائص، مولاي عمر بن حماد، مركز تفسير للدراسات القرآنية،(ص:4).

[5] علوم القرآن الكريم،نور الدين عتر، مطبعة الصباح – دمشق، ط:1، 1414 هـ - 1993 م،(ص: 103)

[6] مفاتيح التفسير، أحمد سعد الخطيب،دار التدمرية/ المملكة العربية السعودية، ط:1431،1هـ ،2010م،(358/1)

والتفسير الفقهي كغيره من اتجاهات التفسير فقد ظهر منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ونمى منهجه على يد الصحابة والتابعين ومن تبعهم، إلى أن ظهر كلون مميز من ألوان التفسير له رواده ومؤلفاته، فالتفسير الفقهي لا يخلوا منه تفسير، لأن آيات الأحكام تشغل مساحة كبيرة من القرآن الكريم[7].

كان التفسير الفقهي من مبدأ نزول القرآن إلى قيام المذاهب يسير بعيدا عن الأهواء والاعراض ثم بعد ذلك يسير تبعا للمذاهب ويتنوع بتنوعها[8].

وباعتبار الجزائر الموطن التاريخي ولا يزال محضن الإباضية، سنحاول _بإذن الله_ رصد أهم مميزات هذا التفسير عندهم من خلال تفسير الإمام كعباش.

المطلب الثالث: منهجه في عرض الأحكام.

عادة ما تشترك المؤلفات ذات الموضوع الواحد في طرق العرض ومسالك النقل والتحليل. ولكن توجد مساحة خاصة تظهر شخصية الباحث وتفرد في مؤلفاته في طريقة ترتيب الأبواب وتنظيم المعلومات وعرض المسائل، لذلك نجد كل مؤلف رغم التشابه بين الكتب يحوي بصمة خاصة مميزة، وعليه فمما يسجل على منهج الإمام كعباش في عرضه للأحكام، ما يلي:

1. عرض الآيات:

كما تقدم في منهجه في التفسير فإن مفسرنا يقسم السور إلى مقاطع حسب مواضيعها معنوانا كل مقطع على حدى ثم يأتي ب نص الآيات المقطع مجموعة، قبل أن يعيد ذكر الآيات منفصلة حسب ما يستدعيه التفسير.

2. عرض الأحكام:

إن من أهم ما يميز تفسير كعباش هو:

---

[7] ينظر: التفسير الفقهي نشأته، ونماذج منتخبة من مصنفاته، زايدي كريم، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية العدد3 /المجلد9/ السنة 2020، (ص:361)

[8] التفسير والمفسرون،محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة_مصر، د.ن (2/ 321)

أ- التزامه بمعنى التفسير، فلا يستطرد فيما لا علاقة له بالآية، فعند ذكر الحكم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الـ توبة:411]، اكتفى بقوله: "قد بين الله أن هذا الميل العاطفي من إبراهيم لأبيه مع كونه مشركا لا يجوز الاستغفار له"[9].

ب- إن كان في متعلق الآية ما يستدعي مزيد تفصيلا فيطلب من القارئ العودة لكتب التخصص للاستزادة ولمزيد من التفصيل. قال:"وفي ذلك خلاف فقهي تفصيلي"[10]...

ت- إن كان في الآية فائدة فإنه لا يتوانى عن ذكرها، فمثلا لاحظ أن قوله تعالى:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الـ توبة: 36]، وقوله تعالى:﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[الـ بقرة:491]. لهما نفس التعقيب، ربط ذلك بكون التأكيد والنصرة من معية الله، وأن التقوى جامعة لكل بر وخير واقية من عذاب الله[11].

ث- وضع تقسيمات خاصة به مع حسن التنظيم تعمل على تبسيط الأحكام، وتقريبها للفهم أكثر فمثلا عند حديثه لمن تصرف أموال الزكاة، قسم الثمانية أصناف تحت ركنين أساسين: أولهما؛

---

[9] ينظر: نفحات الرحمان، كعباش ،132/6.

[10] المصدر نفسه،62/14.

[11] ينظر: نفحات الرحمان، كعباش ، 14/6.

أشخاص لا يجدون ما يكفي ضروراتهم ولا يقدرون على تحصيلها وهو الفقير والمسكين. وثانيهما؛ مصالح عامة ضرورية لإقامة الدولة، وتتضمن الأصناف الستة المتبقية[12].

ج- محاولة تقليل الخلاف فيما لا فائدة كبير في الخوض فيه، فمثلا بعد أن ذكر الوجهين في التفريق بين الفقير والمسكين ختم فقرته بقوله: "ولا تهم هذه التفرقة بينهما مادام الله تعالى قد لزمهما في قرن واحد"[13]. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾الأحزاب:[65]، ما بين الوسطية والاعتدال فنقول: يستحب الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله سيما في الأوقات والأماكن التي رغبت فيها الاحاديث المروية في هذا الشأن..."[14]

ح- إن كان ما يشير إلى ربط الحكم بالواقع نقله، فمثلا نقل عن شلتوت قوله أن صنف العاملين عليها سقط من دائرة الاستحقاق، إلى أن يعود للزكاة نظامها ويعين لها جباتها[15]. وفي موضع آخر عند تفسير لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: [21]. " تحدث عن كون العادة السرية شكل من أشكال الزنى، وأن مِن قتل الأولاد أكل الدواء للإجهاض[16].

خ- يذكر رأيه أحيانا فيقول "قلت" ثم يفصل ويستدل عن وجهة نظره.

د- ينقل قول الفقهاء والمفسرين، فمثلا "يقول جمهور المفسرين والفقهاء أنها تنطبق على الجهاد"[17]. "تعددت أقوال الفقهاء"[18]، وغيرها.

---

[12] ينظر: المصدر نفسه،42/6_43.

[13] ينظر: المصدر نفسه،43/6.

[14] المصدر نفسه،129/11.

[15] ينظر نفحات الرحمان، كعباش ،:43/6.

[16] ينظر: المصدر نفسه،498/13.

[17] ينظر: المصدر نفسه،48/6.

[18] المصدر نفسه،425/13.

ذ- يعنون المقطع بما يشير للحكم، فمثلا عنون لآيات الحجاب بقوله: "أمر النساء بإرخاء جلبابهن، وتهديد المنافقين"[19]. وفي موضع آخر:" إلغاء عادة الظهار، وبيان كفّارته"[20].

أحيانا يذكر كل الأقوال الواردة في المسألة، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ ﴾ محمد: [4]. فطرح سؤالا مفاده هل حكم الأسير ينحصر في التخيير بين المن عليه بإطلاق سراحه أو أن يفدي نفسه بقدر من المال وهل يجوز قتله أو مبادلته بأسرى المسلمين، ثم ذكر الآراء المختلفة للعلماء[21].

ر- عدم تعصب الشيخ لأحكام مذهبه بل يرى الأصلح للواقع المعاصر، حيث قال: "الواقع عندنا اليوم كبقية العالم الإسلامي إذ لا تبقى المطلقة في بيت الزوجية ولو ليوم واحد ولو لم يتم التراضي بينهما، فيكون رأي الشافعية هو الأنسب لهذه الحالة"[22].

طرح السؤال دون الإجابة عنه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ ﴾ الطلاق[6]. أوجل الله النفقة حتى الوضع. وهل هذا الحكم عام فتجب النفقة والسكنى لكل مطلقة ولو كانت مبتوتة؟[23]. وفي قوله تعالى ﴿ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ ﴾ هل هو أمر للأب والأم؟ أو هو عتاب لكليهما على تشددهما وإعناتهما؟[24].

---

[19] المصدر نفسه،132/11.

[20] المصدر نفسه،421/13.

[21] ينظر: نفحات الرحمان، كعباش ،13/13_14.

[22] المصدر نفسه،55/14.

[23] المصدر نفسه،62/14.

[24] المصدر نفسه،63/14.

المطلب الرابع: مصادره الفقهية.

من أهم ما يميز العلوم الشرعية أنها علوم تراكمية ذات مركزية موحدة ومرجعية ثابتة يرجع إليه، لتصويب الانحراف.

وكذلك العمل الفقهي فهو يتميز بترابط الأحكام الفقهية عبر العصور، فالناظر لأقوال العلماء وتدرج الأحكام يلحظ أن البناء الفقهي بناء تراكمي، الانطلاق يكون مما انطلق مما توصل إليه الأوائل.

لذلك نجد أن مؤلفات آيات الأحكام ملآ بأقوال العلماء المتقدمين، التي يتخذها المؤلف أساسا لاستنباط الأحكام للنوازل المعاصرة له والمستجدات الواقعة. وعليه فقد كان الشيخ كعباش يعمد إلى أقطاب الفقه ليؤسس الأحكام في تفسيره، ومن أهم مصادره:

1) القطب اطفيش:

قد برز في تفسير كعباش اعتماده المكثف على الإمام طفيش وكان يلقبه بقطب الأئمة، فكان لا يقف عند تفسير أو ترجيح أو فائدة مرجوة من الآية إلا ساق قولا لطفيش، ومن بعض الأقوال التي أوردها:

1. شرح كتاب النيل وشفاء العليل: في فقه الإباضية: أن الزكاة تعطي للعامل عليها، ومن كان بمعناه كقاض ووال ومفت ونحوهم ممن اشتغل بأمر الناس قياسا على العامل فيعطون بقدر عنائهم وشغلهم ومنفعتهم للإسلام. وإن كانوا أغنياء لانهم مكفوفون بأمر المسلمين عن السعي لأنفسهم[25]، والاقتباس هنا ليس حرفيا من قول اطفيش بل أعاد كعباش صياغته واعرض عن الكثير من التفاصيل التي ليس التفسير محلها.

2. يقول قطب الأئمة في توجيه أحد الآيات يقول: وتستخرجوا منه حلية ما يتزين به من لؤلؤ ومرجان. تلبسونها ذكوركم ونساؤكم كما يثقب للصبي فيعلق في أذنه لؤلؤة أو مرجانة، وكما يركب التاج بهما[26]. وذكر هذا النص في تفسيره هميان الزاد[27] من غير جملة" كما يثقب للصبي فيعلق في أذنه لؤلؤة أو

---

[25] نفحات الرحمان، كعباش ،44/6.

[26] المصدر نفسه،343/7.

[27] هميان الزاد إلى دار المعاد،القطب امحمد اطفيش (7/ 74)

مرجانة"، وجملة "وكما يركب التاج بهما" ذكرت في تفسيره التيسير[28]. وقد أفاض اطفيش في كون الحكم خاصا بالرجال والنساء أو بالنساء فقط، موجها كل قول بما يتوافق مع ظاهر الآية، لكن كعباش اختار ما رجح منها.

3. ويقول اطفيش في حكم أكل الحوت:" والحوت كله حلال ولو على صورة انسان أو خنزير أو كلب أو طفا على الماء ميتا أو ذهب عنه الماء أو مات بضرب أو بأكل شيء أو غير ذلك أو وجد في بطن حيوان آخر، أو بحر أو برد أو ضيق أو مات في جب ماء أو قتله طائر أو غيرها[29].

4. قوله تعالى:" بعد عامهم هذا"، هي للعام التاسع أي العام الذي نزلت فيه براءتهم من الله، ولا يختص منعهم من الدخول إلى المسجد لخصوص العسرة والحج بين الفقهاء، ينص قطب الأئمة على ذلك فيقول: والمذهب أنه لا يجوز للمسلم أن يأذن له في دخول مسجدنا ولا مسجد قومنا ولا يحل أن نتركهم يدخلون مسجدنا ولا مسجد قومنا[30]، وهذا القول ليس المختار، بل إنما صدره اطفيش بقوله:" قال بعض"، بعد أن اختار القول الملائم لظاهر الآية:" ولا يدخل المشرك مسجداً من مساجد المسلمين ولو ذمياً يعطى الجزية ، ولو غسل النجس والثياب "[31]. وهو ذاته الذي نص عليه كعباش قبل أن يشير للخلاف الواقع.

2) محمد الطاهر ابن عاشور:

كثيرا ما يعتمد الإمام كعباش على الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره للآيات القرآنية، كما ينقل عنه أيضا عنه تحريراته الفقهية.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

[28] تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش (5/ 77)

[29] نفحات الرحمان، كعباش ، 343/7، تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش (5/ 77).

[30] نفحات الرحمان، كعباش ، 5/448

[31] تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش (3/ 420)

ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ التوبة: [73]، نقل تعريف ابن عاشور للنسيء وأنه تأخير تجعله العرب لشهر حرام فيصيرونه حلالا، وعوضا عنه يحرم شهر آخر حلال في عامه[32].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾ النحل: [511]، قال: "للتمييز بين الطيب والخبيث من تلك المطعومات يقول الإمام ابن عاشور: ومناسبة هذا التحديد في المحرمات ان بعض المسلمين كانوا بأرض غربة وقد يؤكل فيها لحم الخنزير وما أهل به لغير الله، وكان بعضهم ببلد يؤكل فيه الدم وما أهل به لغير الله"[33].

3) القرضاوي:

نقل كعباش عن الإمام القرضاوي في عدة مواضع مثالها، قوله: "لكن عامة الفقهاء يرون إعطاء هؤلاء من موارد الدولة الأخرى من الفيء والخراج ونحوهما، لا من الزكاة إلا من توسع في مصرف سبيل الله ورآه يشمل كل قربة أو مصلحة"[34].

4) شلتوت:

مثلا عند تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ التوبة: ٦٠، وبعد أن برر موقف عمر ــرضي الله عنهــ في تعطيله لها، عندما قوية شوكة الإسلام، أضاف قولا لشلتوت بأن: "وليس من ريب في أن حاجة المسلمين اليوم في دفع الشر عنهم ماسة إلى تقوية ضعفائهم والاستعانة بكل ما ينفع في رد العدوان والبغي"[35].

---

[32] نفحات الرحمان، كعباش ،15/6، التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ،(10/ 189)

[33] نفحات الرحمان، كعباش ، 456/7

[34] نفحات الرحمان، كعباش ، 44/6. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت_لبنان، ط:2، 1393هـ،1983م، (2/ 52)

[35] نفحات الرحمان، كعباش ،45/6.

5) **بيوض:**

يعد الإمام بيوض من علماء المذهب الإباضي، فليس من الغريب أن يستدل كعباش بأقواله، ومن أمثلة ذلك:

1. كشف الوجه واليدين على أن يكونا خاليين من الزينة هو المتبع في وادي ميزاب وهو رأي الكثير من الصحابة ثم نقل نصا عن الإمام بيوض مفاده: ولكننا نرى ذلك عند الضرورة إذ الأحسن للمرأة وفق السنة المتبعة أن تتنقب[36].

2. نقل عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾ **الأحزاب:٥٠**، يقول الشيخ بيوض: فالتنصيص على بنات العم والعمات يرد على الذين يقولون بوجوب الابتعاد دائما عن العمومة والخؤولة إذ لو كان هذا صوابا دائما بان نكاح الأقارب مضر ونكاح الغرائب خير لما ذكر الله هذا في كتابه ولما نص على قوله لنبيه وبنات عمك وليقل الأطباء ما يقولون وليقل علماء النفس ما يقولون فكلام الله تعالى أعلى، خاصة وهو يتوجه إلى نبيه.[37]

3. وفي موضع آخر نقل عن الإمام بيوض الحاج ابراهيم بن عمر قوله: "فإن مما يستثنى من قوله تعالى وأن ليس للإنسان الا ما سعى الصدقة والدعاء فدعاء المؤمن لأخيه المؤمن عن ظهر غيب مشروع أكان هذا المدعو له حيا أو ميتا"[38].

---

[36] نفحات الرحمان، كعباش ، 134/11.

[37] المصدر نفسه، 114/11.

[38] المصدر نفسه، 13 / 266.

6) السيد قطب:

وكثيرا ما نصادف نقولات عن السيد قطب في تفسير العديد من الآيات، خاصة تلك المتعلقة بالآيات الكونية، ولكن قليل منها فقط هو المتعلق بآيات الأحكام. لأن غالب ما كان ينقله الفوائد والحكم المستنبطة من الآيات[39]، فمثلا يقول في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ الأعراف:[62]. هناك تلازم بين شرع الله اللباس لستر العورات والزينة وبين التقوى، كلاهما لباس، هذا يستر عورات القلب ويزينه، وذاك يستر عورات الجسد ويزينه وهما متلازمان. فمن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه، ومن لا يستحي من الله لا يتقيه، لا يهمه ان يتعرى وأن يدعو إلى العري من الحياء والتقوى والعري من اللباس وكشف السوأة[40].

---

[39] ينظر: نفحات الرحمان، كعباش ، (168/4_134)،(360/2_46_185)

[40] نفحات الرحمان، كعباش ، 36/5، في ظلال القرآن، السيد قطب، دار الشروق،مصر،ط:1،سنة1982م،(159/8_160).

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية استخلصنا مجموعة من النتائج كان أهمها:

- كعباش مفسر وعالم جزائري فذ معاصر، جمع بين عراقة المذهب وحداثة التجديد.
- تنوع المكتبة الجزائرية وثراءها، بتننوع الاتجاهات العقدية والتفسيرية.
- اعتمد المفسر على العلماء من قبله لدعم بعض الأقوال الفقهية أو لنقل بعض الفوائد المستسقاة من آيات الأحكام.
- لين المفسر مع الدليل فهو غير متعصب لفكر معين أو مذهب معين.
- عدم خوض المفسر في تفاصيل الاحكام ويكتفي فقط بما توحيه الآية من معاني فقط.
- استعان المفسر بطرق الاستنباط المتعارف عليها؛ من اعتماد على الأدلة والاستناد إلى أقوال العلماء.
- اهتمام المفسر بقضايا عصره، فهو لا يفوت فرصة لتنزيل الآيات، عن طريق تشخيص الواقع وذكر الحكم الأنسب له.
- أغلب الترجيحات تستند إلى أقوال اطفيش، فهو المصدر الأكثر تأثيرا في تفسير نفحات الرحمان.
- لا يذكر طريقة استنباطه للحكم بل يذكر مباشرة ما تدل عليه الآية.

التوصيات:

الاعتناء بأنواع التفسير الأخرى التي انطوى عليها تفسير نفحات الرحمان للإمام كعباش.

المصادر والمراجع:

1. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.
2. التفسير الفقهي النشأة والخصائص، مولاي عمر بن حماد، مركز تفسير للدراسات القرآنية.
3. التفسير الفقهي نشأته، ونماذج منتخبة من مصنفاته، زايدي كريم، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية العدد3 /المجلد9/ السنة 2020.
4. التفسير والمفسرون،محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة_مصر، د.ن.
5. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت_لبنان، ط:2، 1393هـ،1983م.
6. تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش،د.ن.
7. علوم القرآن الكريم،نور الدين عتر، مطبعة الصباح – دمشق، ط:1، 1414 هـ - 1993 م
8. في ظلال القرآن، السيد قطب، دار الشروق،مصر،ط:1،سنة1982م.
9. القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، رقية دريردي ، تحت إشراف:حدة سابق، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، 2020/2019م.
10. نفحات الرحمان في رياض القرآن، محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، جمعية النهضة، غرداية–الجزائر، د.ن.
11. مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش من خلال تفسيره نفحات الرحمان، سلسبيل نصيرة، مجلة المعيار، المجلد 26، العدد4(رت66)، سنة 2022.
12. مفاتيح التفسير، أحمد سعد الخطيب،دار التدمرية/ المملكة العربية السعودية، ط:1431،1هـ ،2010م.
13. هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، د.ن.